المحاضرة الر ابعة : مستويات تعليمية اللغة العربية (تابع)

ر ابعا : مستوى فهم النص

والنص هو غاية تركيب الجملة. والجملة هي الوحدة الأساسية في التفكير البشري، ولذلك يقول العلامة جوزيفق فندريس : " نحن نفكر بجمل ". ولكن هذا التفكير لا يتضح تمام الوضوح إلا من خلال النص، فكلما تكلم المتكلم أكثر كانت إمكانية الوقوف على أغراضه ومقاصده أكبر. وعلى كل حال فإن النصوص، على اختلاف أنواعها، هي خلاصة الفكر البشري، تنزع منها الفضول التي هي من مستلزمات الكلام العادي المرتجل، وترتب فيها الأفكار بحيث تنطلق من مقدمات معلومة من أجل الوصول إلى غايات معلومة. ولذلك فدراسة النصوص والتدرّب على فهمها وتحليلها لا يقل أهمية عن فهم تركيب الجملة المفردة. ثم إن الفكر البشري، عادة، لا يقف عند تركيب الجملة إلا حيثما ينتقل منه إلى جملة أخرى، وهكذا دواليك، حتى يتبدى له المعنى العام في كلّيته، وهذا الأمر لا يكون إلا على مستوى النص.

وإذن، فالنص هو الحامل الحقيقي للأفكار الإنسانية. وسواء كان هذا شعرا أم نثرا، فإن إنتاج النصوص لا يخلو أبدا من الأغراض. ولهذا فإن الوقوف على غرض المتكلم هو أول أهداف القراءة الناجحة. ويقتضي فهم النص وتعمّقه أن يقف القارئ على ما تسميه المدونات التعليمية بالأفكار الجزئية. وهذه الأفكار الجزئية هي في الحقيقة مراحل حجاجية، يتوخى من خلالها المتكلم الوصول إلى غرضه وهدفه النهائي، الذي لا يتأتى للقارئ إلا في نهاية النص. وعلى هذا الأساس فإن تدريب المتعلم على فهم وتحليل النصوص يقتضي من المعلم أن يقف على هذه المحطات المرحلية التي لا بد منها. وإلا فما الغاية من دراسة النصوص؟.

خامسا : مستوى الأسلوب وفيه يتعلم المتعلم كيفية الاستمتاع بالنصوص ونقدها.

لا يقتصر دور النصوص على المستوى التواصلي، أي على الإفهام فحسب، ولكن الإنسان يتميز بقدرته على إنتاج النصوص التي يكون غرضها الامتاع فضلا عن الإفهام. وهذا النوع من النصوص الذي له القدره على الإمتاع فضلا عن الإفهام هو ما نسميه : النصوص الأدبية. وفيها نقف على ملكات المبدع الأدبية وإمكاناته التعبيرية، وقدراته التصويرية، إلى الدرجة التي يمكن فيها أن نعرف الكاتب من خصائصه التعبيرية، أي من خصائصه الأسلوبية. فيغدو النص بهذا الاعتبار ملكية حصرية، مقصورة على صاحبها، ولذلك هناك من العلماء من يقول : الأسلوب هو الرجل [بوفون]، أو : الأسلوب مظهر الفكر[شوبنهور].

إن دراسة الخصائص التعبيرية للنصوص هي أعلى مستوى من مستويات الفهم والتحليل. والتدرب على هذا النوع من الدراسة هو أول طريق الاحتراف؛ فالقارئ المحترف هو الذي يتسلح بمجموعة متنوعة من الأدوات المنهجية التي

تتعدد بتعدد المناظير التي ينظر من خلالها إلى النص. وبتعدد المناظير، وثراء المنظومة الثقافية للقارئ، يخصب النص ويثرى، وتتبدى إمكاناته التعبيرية. وهكذا فإن القارئ في هذه المرحلة يدخل بصورة طبيعية في باب النقد. وتكون له القدرة على الاعتراض، وتصور البدائل، وعقد المقارنات بين النصوص، وتصنيفها، ورصد شبكة العلاقات الكائنة بينها وبين غيرها من النصوص.

وعلى كل حال فإن النصوص الغنية بالخصائص الأسلوبية هي النصوص الغنية بالمفاتيح التي من خلالها يستطيع المبدع النفاذ إلى النفس البشرية. فكما طبعت هذه النفوس على الانقياد للحجة البالغة والبرهان الساطع، فقد طبعت كذلك على التأثر بالكلمة البليغة والتشبيه الرائع والتصوير الدقيق والاستعارة الحسنة، بل إن علم النفس يخبرنا أن النفوس، في كثير من الأحيان، عادة ما تستنكف عن الانقياد للحجة والبرهان العقليين، وتميل في المقابل إلى الانقياد إلى النكتة البلاغية والأسلوب الجميل.

خامسا : المستوى الحجاجي

وهي أعلى مستوى من مستويات تعليمية اللغة. وفيها يقف المتعلم على القدرات الهائلة التي تتمتع بها اللغة للتأثير على الغير. وكما هو معروف فإن اللغة ليست وسيلة تواصلية تقتصر على نقل المعلومة من المتكلم (أ) إلى مخاطَب (ب) فحسب، ولكنها فضلا عن ذلك وسيلة تأثيرية، يستعملها المتكلم لإقناع المخاطب بصواب رأي أو بدفعه عنه، أو بتغيير موقفه من شيء. لقد غدت اللغة وسيلة خطيرة من وسائل التأثير. وهكذا فلا بد أن يتدرب المتعلم على استعمالها استعمالا صحيحا، وينتبه جيدا إلى الحجج والبراهين التي يقدمها المتكلم بين يديه ليدافع عن هذا الرأي أو ذاك. ويجب أن تلاحظ أن المتكلمين يلجأون في الأغلب إلى طيف واسع من المغالطات الحجاجية التي يخادعون بها المخاطب من أجل النفاذ إلى أغراضهم. وهكذا تقتضي تعليمية اللغة تعليمية القدرة على تفكيك شبكة الحجج والبراهين التي يضمرها المتكلم في ثنايا الخطاب.